بسم الله الرحمن الرحيم

في ذكرى الإسراء والمعراج

الحمدُ للهِ الذي رفعَ قدرَ نبيِّنا محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا والأُخرى، وأسْرى به ليلاً من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى فأعظِم بذلك فخرًا، وقدَّمه جبريلُ فصلَّى بالأنبياءِ والمرسلينَ ليُعلمَ أنه المقامُ الأعظمُ وأنه بذلك المقامِ أحرى، ثمَّ رُقِّي به إلى السَّمواتِ العُلا، إلى سدرةِ المنتهى، فرأى من آيات ربه الكبرى، وأعطاهُ سؤلَه وأعْظَمَ له أجرا، فسبحانَه من إلهٍ نزَّهَ نفسَهُ بنفسهِ فقال: [سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى](سورة الإسراء: من الآية 1)، صلى الله عليه وعلى آله الذين أعْلَى الله لهم في الخافقَيْن ذِكراً.

أما بعد،،،

فقد اعتاد المسلمون في كل عام أن يحتفلوا بذكرى الإسراء والمعراج ليلة السابع والعشرين من شهر رجب، هذه الليلة التي خصَّ بها المولى سبحانه وتعالى حبيبه ومصطفاه صلى الله عليه وآله وسلم بمعجزة عظيمة دون سائر الرسل والأنبياء عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام، فالإسراء والمعراج من بواهر معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم، إذ لم يُعهد أن قطع أحدٌ من البشر مثل هذه المسافة الطويلة من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس، ثم اخترق طباق السموات السبع، وعلا إلى ما شاء الله تعالى، ثم عاد في ثلث ليلة.

وقد كانت هذه الحادثة قبل الهجرة المباركة بثلاث سنين، وبعد موت أبي طالب عمِّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله تعالى عنها.

ومعجزة الإسراء والمعراج ثابتة بنصِّ القرآن الكريم والسنة المطهرة، وقد كان إسراؤه ومعراجه صلى الله عليه وآله وسلم يقظة بالروح والجسد، قال تعالى في كتابه العزيز: [سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ](سورة الإسراء: الآية 1)، وقال تعالى: [وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى](سورة النجم: الآيات 13-15)، وروى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: p أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ، قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلام: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ؟، قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟، قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟، قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟، قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ وَمَنْ

مَعَكَ؟، قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟، قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟، قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟، قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟، قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلام، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟، قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟، قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟، قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: [وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا](سورة مريم: الآية 57)، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟، قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟، قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟، قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلام، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟، قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟، قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟، قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟، قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟، قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟، قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلالِ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟، قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، قَالَ: فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: فَقُلْتُ قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ i .

وقد وصل صلى الله عليه وآله وسلم في المكانة والمكان إلى ما لم يصل إليه رسولٌ ولا نبيٌّ غيره، ورأى أشياء عجيبة منها:

- الدنيا بصورة عجوز.
- وماشطة بنت فرعون: وقد شمَّ رائحة طيبة من قبرها فأخبره جبريل عليه السلام قصتها مع فرعون وأنها ماتت شهيدة هي وأولادها.

- ورأى أناسًا تُقرض ألسنتهم وشفاههم بمقارض من نار وهم خطباء الفتنة.
- ورأى ثورًا خرج من منفذ ضيِّق ثم يُريد أن يعود فلا يستطيع وهو الذي يتكلم بالكلمة الفاسدة.
- ورأى أُناسًا يسرحون كالأنعام على عوراتهم رقاع وهم الذين لا يؤدون الزكاة.
- ورأى قومًا ترضخ رؤوسهم وتعود كما كانت وهم تاركو الصلاة.
- ورأى قومًا يتنافسون على اللحم المنتن ويتركون اللحم الجيد المشرح وهم الزُناة.
- ورأى أناسًا يشربون من الصديد الخارج من الزُناة وهم شاربو الخمر.
- ورأى قومًا يخمشون وجوههم وصدورهم بأظفار نحاسية وهم الذين يمشون بالغيبة.
- ورأى مالك خازن النار.
- ورأى البيت المعمور.
- ورأى سدرة المنتهى، وعندها جنة المأوى، وسقفها العرش.

ورأى من عجائب العالم العلوي ما ذكرنا، حتى وصل صلى الله عليه وآله وسلم إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام، ورأى الله سبحانه وتعالى بفؤاده لا بعينه، قال تعالى: [مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى](سورة النجم: الآية 11)، حيث جعل له المولى سبحانه وتعالى قوة الرؤيا في قلبه؛ لأن الله لا يُرى بالعين الفانية في الدنيا، ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعينهم الباقية بلا مكان ولا جهة ولا مقابلة ولا ثبوت مسافة ولا اتصال شعاع بين الرائي وبينه عزَّ وجلّ، إذ يقول سبحانه وتعالى: [وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ](سورة القيامة: الآيات 22-23).

كما رأى صلى الله عليه وآله وسلم سيدنا جبريل عليه السلام على هيئته الأصلية فلم يُغشَ عليه، وكان قد رءاه قبل ذلك وهو في مكة فغُشي عليه، قال تعالى: [ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى](سورة النجم:8-9)، والمعنى أن جبريل دنا من سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى] أي أقرب، فظهر له بهيأته الأصلية، وله ستمائة جناح، وكل جناح يسد ما بين المشرق والمغرب.

وليس المقصود بالمعراج وصوله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكان ينتهي عنده وجود الله سبحانه وتعالى؛ لأن ذلك لا يقول به مؤمن، إنما القصد من المعراج هو تشريف سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتعظيم مكانته باطلاعه على عجائب العالم العلوي، ورؤيته للذات المقدسة بفؤاده من غير أن تكون الذات في مكان.

نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يُعيد هذه الذكرى على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بالأمن والسلامة والبركة، وأن يُعيد لهذه الأمة أمجادها السليبة، وأن يُعيد إليها مسرى سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

إعداد:

واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم - فلسطين

24 رجب 1433 هجري الموافق 14 يونيو 2012 رومي